Al-AZHAR UNIVERSITY
S.A. KAMEL CENTER
FOR ISLAMIC ECONOMICS

جامعة الأزهر
مركز صالح عبد الله كامل
للاقتصاد الإسلامي

مؤتمـــــر

«رعاية وتنمية الثروة الحيوانية
في الحضارة الإسلامية والنظم المعاصرة»

فى الفترة من ٨-١٠محرم ١٤٢٥هـ الموافق ٢٨ فبراير- ١ مارس ٢٠٠٤م

عجائب دار الحيوان فى مصر الإسلامية

(٢٧٠-٢٨٢هـ = ٨٨٣-٩٨٥م) فى كتاب المؤرخ المقريزى

تحقيق ودراسة

إعـــــــداد

الأستاذة الدكتورة/ سهام مصطفى أبو زيد

أستاذ التاريخ الإسلامى - قسم التاريخ
كلية الدراسات الإنسانية بالقاهرة
جامعـــة الأزهـــر

مقدمـــة:

يحتل موضوع تنمية ورعاية الثروة الحيوانية مكانة كبيرة ومرموقة فى تـــاريخ النظم والحضارة الإسلامية بجانبيها أو بشقيها النظرى والتطبيقى ، وقد ذكـــر بعـــض أنواع من الثروة الحيوانية فى القرآن الكريم ، وفى سنة رسول الله ﷺ ، وفى كتابـــات الفقهاء والمؤرخين المسلمين الذين عالجوا قضايا غاية فى الأهمية وقعت وحدثت بالفعل فى المجتمع الإسلامى .

وللثروة الحيوانية – على اختلاف أنواعها – علاقـــة وثيقـــة بالتـــأثير والتـــأثر وبالإيجاب والسلب على اقتصاد الأمم ، أى أمة ، وكما أن لهـــا فوائـــد جمـــة علـــى الشعوب – فهى مصدر رزق ، بل ومصدر ثروة لمالكها فى كثير من الأحيان ، وكان ثراء الشخص يقاس بكم ما يملكه من ثروة حيوانية ، وهى أيضاً مصدر غذاء وكساء ، وغير ذلك من الفوائد . فإن لها أيضاً آثاراً مدمرة على اقتصاد الأمم ، أى أمـــة ، لـــو قضى على هذه الثروة نتيجة تفشى الأمراض والأوبئة فيها أو الموت الجماعى (الفنـــاء مرة واحدة) ، أو حتى التقصير فى عنايتها ورعايتها بصورة سليمة وصحيحة .

ولذلك ، فإن كافة الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية قد وعت هذا الدرس جيداً وحرصت على اتباع الأسس السليمة فى التنمية والرعاية ، كما حرصت على الحفـــاظ على صحة الحيوان سليماً معافاً ، والتيقن من عدم نقـــل الأمـــراض مـــن الحيوانـــات المريضة إلى الحيوانات السليمة من جهة ، ومن الحيوانات المريضة إلى الإنسان مـــن جهة أخرى ، وشرب لبن نظيف ، وأكل لحوم نظيفة ، ولم يفرق فـــى الرعايـــة بـــين حيوانات التربية الأليفة ، وحيوانات الحمل والنقل ، والحيوانات المتوحشة ، وحيوانات الزينة . كل هذا كان مستمداً من توجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم فى مجال علاج الحيوانات ، ومن الطب النبوى .

وتطور الأمر فى الحضارة الإسلامية ، فظهر طبقة مـــن العلمـــاء المســـلمين المتخصصين فى هذا المجال ، على علم ودراية ، ونشأ علم البيطرة وعددوا أمـــراض الحيوان ، وشخصوها بدقه ، وأعدوا الأدوية المتنوعـــة اللازمـــة لعـــلاج الحيـــوان ، وركبوها ، وأنشئت المراكز المتخصصة فى البيطرة ، والمشرفين عليها .

ويكفى هنا أن نسجل حقيقة تاريخية وواقعة حضارية يفخر بها المسلمون ، وهى أن حضارة المسلمين وتقدمهم فى هذا المجال قد أبهر الصليبين ودفعهم إلى الحـــرص على الاستفادة والنقل ، ونتيجة للاحتكاك الحضارى بينهما ، نقل الصليبيون هذا النظام ، وغيره من النظم ، بل وبعض الوظائف الموجودة فى المجتمع الإسلامى عن اقتناع تام بأهميتها وفوائدها العديدة بالنسبة لهم ، وطبقوه عندهم عن طريق الحروب الصليبية أحد معابر الحضارة الإسلامية من الشرق الإسلامى إلى الغرب الأوربى .

ويعد موضوع هذا البحث جزءاً من هذه الاهتمامات بالثروة الحيوانية فى مصر الإسلامية فى عهد خمارويه بن أحمد بن طولون الذى أنشأ فى قصره حديقـــة واســـعة للحيوانات ، وأولاها عناية كبيرة .

خمارويـــه بن أحمد بن طولون :

حكم مصر بعد وفاة والده أحمد بن طولون (٢٧٠ - ٢٨٢ هـ = ٨٨٣ - ٨٩٥م) . ويعد عصره هو العصر الذهبى للدولة الطولونية ، إذ أنها بلغت أوج عظمتها فـــى عصـــره ، لتعدد مظاهر النظم والحضارة الإسلامية فى مصر حتى أن هذا الموضوع قد اجتذب الكثيـــر من المؤرخين المحدثين والباحثين للبحث فى هذه الجوانب الحضارية الهامة [١].

وفى أوصاف خمارويه يذكر المقريزى : " وكان مهيباً ذا سطوة ، وقد وقع فى قلـــوب الكافة أنه متى أشار إليه أحد بإصبعه أو تكلم أو قرب منه ، لحقه مكروه عظيم .... فكـــان إذا أقبل لا يسمع من أحد كلمة ولا سعلة ولا عطسه ولا نحنحة البتـــه ، كأنمـــا علـــى رؤوســـهم الطير"[٢].

قتل فى دمشق حيث ذبحه جواريـــه وخدمه ، ودفن فى مصر ، وحزن عليـــه أهـــل مصر حزناً شديداً ، " وكانت فى البلد ضجة عظيمة وصرخة تنعتع القلوب حتى دفن " [٣].

وصف لدار الحيوان وأهـــم عجائبها :

يكاد يجمع مؤرخى مصر الإسلامية القدامى والمحدثين [٤]على عظم ثروة مصر فـــى عهد خمارويه بن أحمد بن طولون ، وعلى أن الرخاء قد عم أنحاء مصر فى ذلـــك العهـــد ، وساد البلاد جو من الرضى والهدوء ، كما أجمعوا أيضاً على سعة نفقته ، وكثـــرة منشـــآته ، وميله إلى الترف والنعيم ، وبقول المؤرخ أبو المحاسن بن تغرى بردى: " ولما ملك خمارويه الديار المصرية بعد موت أبيه أحمد بن طولون ، أقبل على عمارة قصـــر أبيـــه ، وزاد فيـــه محاسن كثيرة ..... "

---

(١) للمزيد عن خمارويه انظر : الكندى : كتاب الولاه والقضاه ، ص ٥٢٠ وما بعدها . ط بيروت ١٩٠٨ . المقريزى : المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والأثار . جـــ١ ، ص٥٩٧ وما بعدها ط دار الشعب . أبـــو المحاسن بن تغرى بردى : نفس المصدر ، جـــ٣ ، ص٥٤ وما بعدها . ط دار الكتب ، د . حســـن أحمـــد محمود مصر فى عصر الطولونيين ، ص ٥٦ . عبدالرحمن الرافعى و د . سعيد عاشور : مصـــر فى العصـــور الوسطى، ص ٩٥ وما بعدها . ط القاهرة ، ١٩٩ م .

(٢) المقريزى : الخطط، حـــ١ ، ص ٥٩٩ .

(٣) المقريزى : الخطط ، حـــ١ ، ص ٦٠٥ .

(٤) الكندى : كتاب الولاه والقضاه ، ص ٣٥٠ / المقريزى : الخطط ، حـــ١ ، ص ٥٩٤ وما بعدها . / أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـــ٣ ، ص ٥٣ — ٥٤ . د . الرافعى و د . عاشـــور : مصـــر فى العصـــور الوسطى ، ص ١٠٣ .
د . حسن أحمد محمود : مصر فى عصر الطولونين ، ص ٥٦ .

ومن هذه المحاسن والعجائب دار الحيوان التى أنشأها ، وما أودعه فيها من صنوف عجيبة وغريبة من الحيوانات ، والنظام الدقيق الذى وضعه لرعاية تلك الحيوانات ، وقد صور لنا المؤرخ المقريزى وآخرون تلك اللوحة الجميلة على الوجه التالى :

دار الحيوان فى كتابات المقريزى :

" فلما مات أحمد بن طولون ، وقام من بعده ابنه خمارويه ، أقبل على قصر أبيه وزاد فيه ، وأخذ الميدان الذى كان لأبيه فجعله كله بستاناً ، وزرع فيه أنواع الرياحين وأصناف الشجر ، ونقل إليه الودى اللطيف الذى ينال ثمره القائم ، ومنه ما يتناوله الجالس من أصناف خيار النخل ، وحمل إليه كل صنف من الشجر المطعم العجيب وأنواع الورد ، وزرع فيه الزعفران .

وكسا أجسام النخل نحاساً مذهباً حسن الصنعة ، وجعل بين النحاس وأجساد النخل مزاريب الرصاص ، وأجرى فيها الماء المدبر ، فكان يخرج من تضاعيف قائم النخل عيون الماء ، فتنحدر إلى فساقى معمولة ، ويفيض منها الماء إلى مجار تسقى سائر البستان .

وغرس فيه من الريحان المزروع على نقوش معمولة وكتابات مكتوبة ، يتعاهدها البستانى بالمقراض حتى لا تزيد ورقة على ورقة ، وزرع فيه النيلوفر الأحمر والأزرق والأصفر والجنوى العجيب ، وأهدى إليه من خراسان وغيرها كل أصل عجيب ، وطعموا له شجر المشمش باللوز ، وأشباه ذلك من كل ما يستظرف ويستحسن .

وبنى فيه برجا من خشب الساج المنقوش بالنقر النافذ ليقوم مقام الأقفاص ، وزوقه بأصناف الأصباغ ، وبلط أرضه ، وجعل فى تضاعيفه أنهاراً لطافاً ، جداولها يجرى فيها الماء مديراً من السواقى التى تدور على الآبار العذبة ، ويسقى منها الأشجار وغيرها .

وسرح فى هذا البرج من أصناف القمارى والدباسى والنونيات وكل طائر مستحسن حسن الصوت ، فكانت الطير تشرب وتغتسل من تلك الأنهار الجارية فى البرج ، وجعل فيه أوكاراً فى قواديس لطيفة ممكنة فى جوف الحيطان لتفرخ الطيور فيها ، وعارض لها فيه عيدانا ممكنة فى جوانبه لتقف عليها إذا تطايرت حتى يجاوب بعضها بعضاً بالصياح ، وسرح فى البستان من الطير العجيب ، كالطواويس ودجاج الحبش ونحوها ، شيئاً كثيراً .

وعمل فى داره مجلساً برواقه سماه بيت الذهب ، طلى حيطانه كلها بالذهب المجاول باللازورد ، المعمول فى أحسن نقش وأظرف تفصيل .....

وجعل بين يدى هذا البيت فسقية مقدرة ، وملأها زئبقاً ... وذلك أنه شكا إلى طبيبه كثرة السهر ، فأشار عليه بالتغميز ، فأنف من ذلك وقال : لا أقدر على وضع يد أحد على . فقال له : تأمر بعمل بركة من الزئبق .

فعمل بركة – يقال أنها خمسون ذراعاً طولاً فى خمسين ذراعاً عرضاً – وملأها من الزئبق ، فأنفق فى ذلك أموالاً عظيمة ، وجعل فى أركان البركة سككاً من الفضة الخالصة ، وجعل فى السكك زنانير من حرير محكمة الصنعة فى حلق من الفضة ، وعمل فرشاً من أدم يحشى بالريح حتى ينتفخ فيحكم حينئذ شده ، ويلقى على تلك البركة الزئبق ، وتشد زنانير الحرير التى فى حلق الفضة بسكك الفضة ، وينام على هذا الفرش ، فلا يزال الفرش يرتج ويتحرك بحركة الزئبق ما دام عليه .

وكانت هذه البركة من أعظم ما سمع به من الهمم الملوكية ، فكان يرى لها فى الليالى المقمرة منظر عجيب إذا تألف نور القمر بنور الزئبق . ولقد أقام الناس بعد خراب القصر مدة يحفرون لأخذ الزئبق من شقوق البركة ، وما عرف ملك قط تقدم خمارويه فى عمل مثل هذه البركة .

وبنى أيضاً فى القصر قبة تضاهى قبة الهواء سماها الدكة ، فكانت أحسن شىء بنى ، وجعل لها الستر التى تقى الحر والبرد ، فتسبل إذا شاء وترفع إذا أحب ، وفرش أرضها بالفرش السرية ، وعمل لكل فصل فرشاً يليق به .

وكان كثيراً ما يجلس فى هذه القبة ليشرف منها على جميع ما فى داره من البستان وغيره ، ويرى الصحراء والنيل والجبل وجميع المدينة . وبنى ميداناً آخر أكبر من ميدان أبيه.

وبنى أيضاً فى داره داراً للسباع ، عمل فيها بيوتاً بآزاج ، كل بيت يسع سبعاً ولبؤته ، وعلى تلك البيوت أبواب تفتح من أعلاها بحركات ، ولكل بيت منها طاق صغير يدخل منه الرجل الموكل بخدمة ذلك البيت يفرشه بالزبل ، وفى جانب كل بيت حوض من رخام بميزاب من نحاس يصب فيه الماء .

وبين يدى هذه البيوت قاعة فسيحة متسعة ، فيها رمل مفروش بها ، وفى جانبها حوض كبير من رخام يصب فيه ماء من ميزاب كبير .

فإذا أراد سائس سبع من تلك السباع تنظيف بيته ، أو وضع وطيفة اللحم التى لغذائه ، رفع الباب بحيلة من أعلى البيت ، وصاح بالسبع فيخرج إلى القاعة المذكورة ، ويرد الباب،

ثم ينزل إلى البيت من الطاق ، فيكنس الزبل ، ويبدل الرمل بغيره مما هو نظيف ، ويضع الوطيفة من اللحم فى مكان معد لذلك بعد ما يخلص ما فيه من الغدد ، ويقطعه لهما ، ويغسل الحوض ويملأه ماء ، ثم يخرج ويرفع الباب من أعلاه .

وقد عرف السبع ذلك ، فحال ما يرفع السائس باب البيت ، دخل إليه الأسد فأكل ما هيىء له من اللحم حتى يستوفيه ، ويشرب من الماء كفايته .

فكانت هذه مملوءة من السباع ، ولهم أوقات يفتح فيها سائر بيوت السباع ، فتخرج إلى القاعة وتتمشى فيها ، وتمرح وتلعب ويهارش بعضها بعضاً ، فتقيم يوماً كاملاً إلى العشى، فيصيح بها السواس ، فيدخل كل سبع إلى بيته لا يتخطاه إلى غيره .

وكان من جملة هذه السباع سبع أزرق العينين – يقال له زريق – قد أنس بخمارويه ، وصار مطلقاً فى الدار لا يؤذى أحداً ، ويقام له بوظيفته من الغذاء فى كل يوم . فإذا نصبت مائدة خمارويه ، أقبل زريق معها ، وربض بين يديه ، فرمى إليه بيده الدجاجة بعد الدجاجة ، والفضلة الصالحة من الجدى ، ونحو ذلك مما على المائدة ، فيتفكه به .

وكانت له لبؤة لم تستأنس كما أنس ، فكانت مقصورة فى بيت ، ولها وقت معروف يجتمع معها فيه .

فإذا نام خمارويه جاء زريق ليحرسه . فإن كان قد نام على سرير ربض بين يدى السرير ، وجعل يراعيه ما دام نائماً . وأن كان إنما نام على الأرض ، بقى قريباً منه ، وتفطن لمن يدخل ويقصد خمارويه ، لا يغفل عن ذلك لحظة واحدة .

وكان على ذلك دهره ، وقد ألف ذلك ودرب عليه ، وكان فى عنقه طوق من ذهب ، فلا يقدر أحد أن يدنو من خمارويه ما دام نائماً لمراعاة زريق له وحراسته اياه .. حتى إذا شاء الله انفاذ قضائه فى خمارويه ، كان بدمشق وزريق غائب عنه بمصر ، ليعلم أنه لا يغنى حذر من قدر .

واتسعت أيضاً اصطبلات خمارويه ، فعمل لكل صنف من الدواب اصطبلاً مفرداً : فكان للخيل الخاص اصطبل مفرد ، والدواب الغلمان اصطبلات عدة ، ولبغال القباب اصطبلات ، ولبغال النقل غير بغال القباب اصطبلات ، وللنجائب والبخاتى اصطبلات ... لكل صنف اصطبل مفرد ، للإتساع فى المواضع ، والتفنن فى الأثقال . وعمل للنمور داراً مفردة ، وللفهود داراً مفردة ، وللفيلة داراً ، وللزرافات داراً .

كل ذلك سوى الاصطبلات التى بالجيزة فإنه كان له فى عدة ضياع من الجيزة اصطبلات ، مثل نهيا وأوسيم وسفط وطهرمس وغيرها ، وكانت هذه الضياع لا تزرع إلا القرط برسم الدواب .

وكان للخليفة أيضاً بمصر اصطبلات ، سوى ما ذكر ، تنتج فيها الخيل لحلبة السباق، وللرباط فى سبيل الله تعالى برسم الغزو . وكان لكل دار من الدور المذكورة ، ولكل اصطبل، وكلاء لهم الرزق السنى والوظائف الكثيرة والأموال المتسعة . وكان يتقلد فى يوم العيد سيفاً بحمائل .

ولا يزال يتفرج ويتنزه ، ويخرج إلى مواضع لم يكن أبوه يهش إليها ، كالأهرام ومدينة العقاب ونحو ذلك ، لأجل الصيد فإنه كان مشغوفاً به ، لا يكاد يسع بسبع إلا قصده ومعه رجال عليهم لبود ، فيدخلون إلى الأسد ويتناولونه بأيديهم من غابة عنوة وهو سليم ، فيضعونه فى أقفاص من خشب محكمة الصنعة يسع الواحد منها السبع وهو قائم ، فإذا قدم خمارويه من الصيد ، سار القفص وفيه السبع بين يديه .

وكانت حلبة السباق فى أيامهم تقوم مقام الأعياد ، لكثرة الزينة وركوب سائر الغلمان والعساكر – على كثرتهم – بالسلاح التام والعدد الكاملة ، فيجلس الناس لمشاهدة ذلك كما يجلسون فى الأعياد ، وتطلق الخيل من غايتها ، فتمر متفاوتة يقدم بعضها بعضاً حتى يتم السبق .

قال القضاعى : المنظر بناه أحمد بن طولون فى ولايته لعرض الخيل . وكان عرض الخيل من عجائب الإسلام الأربعة التى منها هذا العرض ، ورمضان بمكة ، والعيد كان بطرسوس ، والجمعة ببغداد .. فبقى من هذه الأربعة شهر رمضان بمكة ، والجمعة ببغداد ، وذهبت اثنتان ".

وبعد دراسة هذه الوثيقة التى أوردها المؤرخ المقريزى والتى تضم هذه النصوص الهامة الفريدة ، يتضح لنا أنها تدور حول عدة محاور هى :

أولاً: حول اهتمام خمارويه بن أحمد بن طولون كحاكم من الحكام المسلمين بالثروة الحيوانية بأنواعها المختلفة ، وأنه كان مغرماً بالصيد شغوفا به ، وصيد السباع أو الأسود[١] على وجه الخصوص، خاصة وأن خمارويه كان يتصف بالجرأه والشجاعة والإقدام والبسالة ، وهو " كالأسد الأسود " ، بل " أجرأ من الليث العادى " ، أو " أسد البلاد "[٢] .

" وكان الملوك يخرجون بأنفسهم لصيد الأسود ، وأصبح ذلك فى الإسلام من مزايا الحكام ، ويحتفظون بالأسد فى حدائق حيواناتهم ، ويدربونها لتكون فى صحبتهم وبرتبون استعراضات لها على طريقة اليونان .... [٣] "

ثانياً : وليس غريباً أن ينشىء خمارويه بن أحمد بن طولون داراً للحيوان اعتبرت من العجائب لأنها كانت تضم كل هذه العجائب والغرائب وكأنها حديقة للحيوان ، ولم يكن هو أول حكام مصر الإسلامية الذين اهتموا بالحيوان وبأموره ولا آخرهم ، فقد سبقه إلى ذلك والده أحمد بن طولون فى مصر ، فقد طالعنا البلوى[٤] مؤرخ الدولة الطولونية المعاصر لها وغيره من المؤرخين على عدة نصوص توضح هذا الأمر منها :

١) أن أحمد بن طولون كان يهتم بالحيوانات ويعتنى بها عناية فائقة ، كما كان شغوفاً بامتلاك الخيول العربية ، والتى امتلأت بها اصطبلاته الكثيرة .

٢) وينقل لنا المقريزى عن القضاعى أن " المنظر – الذى – بناه أحمد بن طولون فى ولايته لعرض الخيل ، وكان عرض الخيل من عجائب الإسلام الأربعة التى منها هذا

---

(١) عن الأسد انظر : الدميرى (كمال الدين محمد بن موسى) حياة الحيوان الكبرى ، جـ١ ، ٣ وما بعدها. ط القاهرة ١٩١١ م .

(٢) الجاحظ (أبى عثمان عمرو بن بحر) كتاب الحيوان ، تحقيق د . عبدالسلام هارون ، جـ١ ، ص ٢٢. دار الكتاب العربى ، بيروت . ط ثالثة ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٩ م .

(٣) كاسكل **C.Caskele** و كندرمان **H. Kindermann**
مقاله فى دائرة المعارف الإسلامية مادة (أسد) . ص ٢٧١ النسخة العربية إعداد إبراهيم زكى خورشيد وأحمد الشنتناوى و د . عبدالمحسن يونس . المجلد ٣ ط الشعب .

(٤) البلوى أبو محمد عبدالله بن محمد المدنى : سيرة أحمد بن طولون ، ص ٥٥ تحقيق محمد كرد على . مكتبة الثقافة الدينية . القاهرة . د . ت .

العرض، ورمضان بمكة ، والعيد بطرسوس ، والجمعة ببغداد ... [١] " .

٣) كما نص البلوى[٢] على أنه قد وجد فى أيام أحمد بن طولون سوقا يسمى " سوق الدواب". وقد اكتفى البلوى بهذه الإشارة دون إمدادنا بآية دقائق وتفصيلات حول هذا السوق . كما نجد إشارة أخرى فى بعض المصادر الأصيلة [٣] عن " سوق الغنم " . مما يدل على غنى البلاد بالثروة الحيوانية خلال تلك الفترة التاريخية .

٤) ومما يذكر أيضاً فى هذا الصدد أن أحمد بن طولون قد خلف بعد وفاته لخمارويه من الخيل الميدانية سبعة آلاف رأس ، ومن الجمال ثلاثة آلاف جمل ، ومن البغال ألف بغل ، ومن الخيل لركابه ثلاثمائة وخمسين فرساً [٤] .

٥) كذلك ذكر المؤرخ ابن سعيد المغربى [٥] أن الإخشيد محمد بن طغج حاكم مصر من (٣١٢ - ٣٣٤ هـ = ٩٣٣ - ٩٤٥ م) كان يمتلك فى قصره الفيلة والزرافات . كما ضمت دار الفيل التى أنشأها كافور الإخشيدى حاكم مصر من (٣٥٥-٣٥٧هـ - ٩٦٥ - ٩٦٧ م) كثيراً من الفيلة [٦] .

كذلك اهتم الخلفاء العباسيون باقتناء الأسود والفيلة والنمور وغيرها من الحيونات [٧] .

ثالثاً: أما اهتمام خمارويه بالخيول وعنايته بها فإنها لم تتوقف عند حد رغبته فى امتلاك هذا الخيل فقط ، أو عمل اصطبلات مجهزة لها ، وإنما تعدى ذلك الاهتمام إلى عمل حلبة سباق خاصة للخيل : " وكانت حلبة السباق فى أيامهم (بنى طولون) تقوم مقام الأعياد، لكثرة الزينة وركوب سائر الغلمان والعساكر - على كثرتهم - بالسلاح التام والعدد الكاملة،

---

(١) الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٩٩ .

(٢) البلوى : نفس المصدر ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا . جـ ٣ ، ص ٢٥٣ . ط ١٩١٣ - ١٩١٧ م .

(٤) البلوى : نفس المصدر ، ص ٣٤٩ .

(٥) ابن سعيد على بن موسى المقربى . المغرب فى حلى المغرب ، ص ١٩٩ ، جـ ١ القسم الخاص بمصر نشر وتحقيق د . زكى محمد حسن د . حرون . القاهرة ١٩٥٢ م .

(٦) د . سيدة كاشف : مصر فى عصر الأخشيديين ، ص ٣٠٥ . ط ثانية القاهرة للمزيد عن دار الفيل انظر: ابن دقماق : الانتصار بواسطة عقد الامصار سننه ١٩٧٠ . جـ١ القسم ١ . ص ١٢٧ ، ص ١٣٥ . ، ط بيروت . بدون .
سهام أبوزيد : كافور الأخشيدى وسياسته الداخلية والخارجية ، ص ١٨٣ ، دار الكتاب العربى . القاهرة ١٩٨٨ م .

(٧) ابن عبدربه : العقد الفريد مطبعة الاستقامة - القاهرة ١٩٤٠ م

فيجلس الناس لمشاهدة ذلك ، كما يجلسون فى الأعياد ، وتطلق الخيل من غايتها ، فتمر متفاوتة يقدم بعضها بعضاً حتى يتم السبق [١] . وهذا يوضح أن الناس كانوا يعتبرون يوم السباق كيوم العيد.

رابعاً : ويتضح من الجزء الخاص من نص المقريزى بإعداد أماكن إقامة الحيوانات ، التنظيم الفائق الدقة الذى كان هدفه الحرص على راحة الحيوان فى أماكن إقامته، وحسن تربيته ، ورعايته وتوفير المأكل والمشرب المناسبين له ، وتخصيص المشرفين والسياس والعاملين .

خامساً : أما عن طريقة الصيد الذى أوضحها المقريزى فى نصوصه فإنها تدل على الشجاعة والأقدام ، ولم يكن هذا هو رأى كاتب مقالة (أسد) فى دائرة المعارف الإسلامية [٢] الذى يرى أن العرب كانوا يصيدون الأسود بطريقة عمل الحفرة . وقد وصف هذه الطريقة بالبدائية فى قوله . " ولم يكن صيد الأسد عند العرب رياضة وفروسية لأنهم كانوا يعدون له حفرة يربطون عليها جدياً يخدعونه به ، وهى طريقة بدائية لا تزال تستعمل فى بعض الأرجاء .... "

سادساً : وإشارة المقريزى : " ولكل اصطبل ، وكلاء لهم الرزق السنى والوظائف الكثيرة والأموال المتسعة " . تتضمن أنه كان هناك العديد من الوظائف المعتمدة لرعاية الحيوان ، وإن كان المقريزى لم يسمى هذه الوظائف ولم يفصلها ، ولكنها بالتأكيد كانت قد وجدت كلها خصيصاً للرعاية بكل ما تشملها هذه الكلمة من معان، ومنها البيطرة . كما أشار المقريزى أيضا إلى أنه كان لأصحاب تلك الوظائف حقوقا منها " الرزق السنى والأموال المتسعة " ، وأن هذه الرعاية والعناية لم تفرق بين الحيوانات الأليفة والحيوانات المتوحشة .

وإن كان المؤرخ المقريزى قد اختصر فى ذكر هذه المادة العلمية ، لعله يكون فى هذا قد ترك هذا المجال للمؤلفين المتخصصين ، وبالفعل فإننا نقرأ فى تلك المؤلفات عن هذه الطبقة من الموظفين الذين يأتى فى مقدمتهم واكثرهم مسئولية ، ومسئولية مباشرة " البيطار "،

---

(١) المقريزى (تقى الدين بن أحمد) الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٩٩ ط دار الشعب .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية – النسخة العربية – مجلد ٣ ، ص ٢٦٩ – ٢٧٠ . ط الشعب .

ويقال أيضاً بيطر وبيطر [١] ، ويذكر أنه لفظ مأخوذ من اليونانية إيبياتروس ومعناه : حداد أو جراح حيوان [٢] وهو علم يبحث فى أحوال الدواب ، وحفظ صحتها ، وعلاج أمراضها ، وقد كان العرب على دراية كبيرة بعلم البيطرة بحكم دربهم وتجاربهم فى الرعى وتربية الحيوان ، كما ذكر أن القدامى من شعراء العرب استعملوا كلمة بيطار بمعنى طبيب[٣].

وقد توصل البياطرة العرب إلى معرفة وتشخيص معظم أمراض الحيوانات ، ومن ثم، فقد توصلوا إلى علاجها ، وتشهد على ذلك مؤلفاتهم المتخصصة منها المخطوطة ومنها المطبوعه، ويأتى فى مقدمة هؤلاء المؤلف أحمد بن الحسن بن الأحنف فى مخطوطه الشهير (كتاب البيطرة) [٤] الذى ذكر فيه الكثير عن الحيوانات منها الخيول والبغال والحمير ، وطرق علاجها ، كما أنه عرض فيه سبعة وثلاثين لوحة لخيول ودواب مريضه بأمراض مختلفة [٥].

ومن هؤلاء المؤلفين أيضاً الملك الأشرف عمر بن يوسف بن عمر بن على بن رسول فى مخطوطه (المفتى فى البيطرة)[٦] تناول فيه الخيل ثم باقى الحيوانات البقر والماعز

(١) دائرة المعارف الإسلامية – مادة بيطار بقلم J. Hell .
(٢) أنستاس مارى الكرملى : البيطرة عند الأعراب . مقالة فى مجلة المشرق ، جـ١ ، عام ١٨٩٨ م .
(٣) بطاش كبرى زادة (أحمد بن مصطفى) : مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، جـ١ ، ص ٢٧٠ ط حيدر أباد الدكن ١٣٢٩ هـ .
(٤) أحمد بن الحسن بن الاجنف : البيطرة ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ٨ طب خليل أغا . ميكروفيلم ٣٩٣١ . ورقة ١٤ – ٢٠
(٥) أوردت فى نهاية البحث بعض صور لهذه اللوحات .
(٦) عمر بن يوسف بن رسول : المغنى فى البيطرة . مخطوط بمعهد المخطوطات العربية برقم ٧٤٥ طب . ورقة ٥٢ .
للمزيد عن اسماء المخطوطات التى تناولت البيطرة انظر :
د . زينب أحمد أبو على : الرعاية الطبية والصحية فى مصر والشام ٥٦٧ – ٦٤٨ هـ = ١١٧١ – ١٢٥٠ م . رسالة دكتوراة فى التاريخ الإسلامى لم تنشر بعد . جامعة الأزهر ١٤١٨ هـ = ١٩٩٧ م . ص ٢٨١ وما بعدها .

والضأن وذكر منافعها والجيد منها ، والأمراض التى تصيبها واعراضها وطرق علاجها[1].

ولاشك أن تعرض الثروة الحيوانية للأمراض أو للوباء أو الآفة كان يؤدى إلى موت أعداد كبيرة منها ، مما يؤثر على الحالة الاقتصادية للبلاد ، لذلك نجد الحكام يزيدون من الرعاية البيطرية للحيوان ، ويتابعون الرقابة على البياطرة عن طريق المحتسب الذى أسند إليه هذه المهمة . ويذكر مؤلفو كتب الحسبة والمحتسب أن المحتسب كان يشترط على البيطرى قبل السماح له بمزاولة المهنة ، أن يكون عارفاً بعلل الدواب .

كما كانت أوامر وتوجيهات المحتسب تصدر إلى البياطرة بكل صغيرة وكبيرة [2] .

وإذا درسنا الثروة الحيوانية فى ضوء البرديات العربية ، وهى أثمن ما تقتنيه الأمة الإسلامية من تراث تكشف عن معالم الحضارة العربية الإسلامية بوجه عام ، وعن حضارة مصر الإسلامية بوجه خاص ، وهى وثائق لا يمكن أن يتطرق إليها أدنى شك فهى صحيحة وصادقة ، نجد أن بعض هذه البرديات تمدنا بمادة علمية غاية فى الأهمية والجدية والطرافة ، وأنها انفردت ببيان عدة جوانب من أهمها :-

١) أوصاف الحيوان سواء أكان خيلاً أم بغالاً أم حميراً أم غيرها من حيث اللون والشكل والصحة وغير ذلك بذكر تفاصيل ودقائق غريبة وعجيبة .

٢) أسعار كل حيوان على حدة .

٣) تفاصيل عمليات البيع والشراء .

٤) إعطاء البائع ضمان إلى المشترى يكفل له الاطمئنان على سلامة الحيوان ، وهو لا يختلف عن الضمان الذى يعطى فى عصرنا الحالى لأى مشترى يقبل على شراء سلعة هامة بحيث يكون ملزماً بتعويض المشترى إذا ما اكتشف الأخير أى عيب أو مرض فى الحيوان .

٥) أشهر الأسر التى كانت تتاجر فى البيع والشراء .

---

(١)عن هذه الأمراض بالتفصيل انظر المصادر السابقة بأرقامها الواردة والدميرى : نفس المصدر والصفحات، كما أن الجاحظ فى كتاب الحيوان فى جـ٢ أضاف امراضاً أخرى إلى جانب ما سبق ذكره فى المخطوطات انظر الصفحات : ٥٠ وما بعدها ، ١١٧ ، ١٦٣ ، ٢١٥ ، ٢٢٥ ، ٢٣٢ .
للمزيد عن هذه الأمراض انظر : د . زينب أبو على : الرعاية الطبية ، ص ٢٨٤ – ٢٨٧ .

(٢) للمزيد ارجع إلى الشيزرى (عبدالرحمن بن نصر) : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، ص ٨٠ – ٨١ . تحقيق د . السيد الباز العرينى . بيروت ١٩٨١ م . ابن بسام (محمد بن أحمد) نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، تحقيق حسام الدين السامرائى . ط بغداد ١٩٦٨ . ص ١٢٤ – ١٢٥

٦) الشهود الذين يشهدون على عقود البيع والشراء ، ويوقعون عليها دليل على مصداقية الطرفين .

٧) ومن المدهش حقاً أن يتجلى فى إحدى البرديات نصوصاً تدل على رعاية حقوق صاحب الحيوان والحفاظ عليها بأوضح معانى الرعاية والحقوق حتى ولو كان من أهل الذمة ، بحيث إذا أقدم أحد المسلمين على قتل حصان مواطن مصرى من أهل الذمة ، فإنه يحاكم ويحكم عليه بدفع دية مغلظة .

وقد أرفقت بالبحث ثلاثة برديات عربية تناولت هذه الموضوعات :

١) بردية عربية تتعلق بإقرار بيع دواب ورعايتها بين بعض أهل الذمة .

٢) بردية عربية تتعلق بإبراء الذمة فى ثمن حصان مع ضمان سلامة الحصان .

٣) وثيقة عربية بعنوان : (دية قتل فرس) .

وفى الخاتمة ، فإنى أتمنى من الله العلى القدير أن أكون قد وفقت فى توضيح هدف البحث عن مدى ما حظيت به الثروة الحيوانية من إهتمام ورعاية وعناية فى العصور الإسلامية ، وفى تقديم الأدلة والبراهين التى تقنع القارىء الكريم بصحة الآراء التى وردت فى البحث .

والله ولى التوفيق

وثيقة عربية تتعلق بإقرار ببيع دواب ورعايتها بين
بعض أهل الذمة مؤرخة بسنة ٤٢٢ هـ/١٠٣١ م -
محفوظة فى مجموعة جون رايلاندز بمدينة مانشستر
فى إنجلترا برقم سجل (P.Rylands. inv.B.11)
أطوالها ٢٩ × ١٩ سم .

النـــص

١) بسم الله الرحمن الرحيم توكلت على الله .
٢) أقر ذى نون بن عبدالله الحلاونى ويحنس بن أفراهام بن أخت اصطفن الراهب ومعهما حمارين .
٣) أحدهما أسود أبروق وعلى رقبته شامة بيضاء وبيد ذى النون حمار أشهب .
٤) ذكر ذى النون بن عبدالله (أنه) باع ليحنس بن أفراهام بن أخت اصطفن الراهب الحمار .
٥) المنعوت فيه بخمسة دنانير حاكميه وقبضها منه وأبرأ يجنس بن أفراهام .
٦) من ذلك ومن نقده ووزنه فتسلم منه الحمار المذكور فيه وأحضر يحنس بن أفراهام .
٧) حمار أسود خارج وعلى رقبته شامه بيضاء ذكر ذى النون بن عبدالله (أنه) .
٨) إبتاعه من يحنس بن أفراهام بخمسة دنانير حاكميه وسلم ذلك إليه وافترقـــاً .
٩) عن تراض منهما ولم يبق بين ذى النون هذا وبين يحنس هذا دعوى ولا طلبة .
١٠) ولا قول ولاحجه وضمن ذى النون بن عبدالله ليحنس بن أفراهام الدرك فى هذا.
١١) الحمار ذكر متى إدعى ولده عليه بدعوا على ذى النون خلاص يحنس هذا منه.
١٢) وليس لواحد منهما على صاحبه فى هذين الحمارين خيار وبذلك اشهداً .
١٣) على أنفسهما فى سلخ ذى العقده من سنة اثنين وثلثين وأربع مائـــه شهد على ذلك .
١٤) شهد الحسين بن أحمد بن منير على إقرار المقربين بما نسب إلى كل واحد منهما فيه فى تاريخه .
١٥) شهد ربيعه بن على بن سعيد بن حنظله على اقرارهما بما فيه فى تاريخه .
١٦) شهد محمد بن الحسين بن عمر على إقرار المقربين بما نسب إلى كل واحد منهما فيه وكتب بيده فى تاريخه .

وثيقة نادرة تتعلق

بإبراء الذمة فى ثمن حصان مع ضمان سلامة الحصان

مؤرخة بسنة ٣٨٢ هـ / ٩٩٢ م .-

محفوظة فى مجموعة بيرول برقم سجل

(P.Berol.inv. 8011) أطوالها ٢٢ × ١٣,٥ سم

النـــص

١) بسم الله الرحمن الرحيم .

٢) يقول عمر بن مهدى أى قبضت منك يا مينا بن جرحه .

٣) الططونى ثمن الحصان الأدهم الذى إبتعته منى ومبلغه .

٤) من العين العزيزى ستة عشر ديناراً عزيزية وأبرأتك من ذلك .

٥) براءة قبض واستيفا مقاماً أدركك خصومة أو تبيعه .

٦) فى هذا الحصان كان على خلاصك من ذلك من خالص .

٧) مالى كاين ما كان أو بالغ ما بلغ وكتب فى يوم الجمعة .

٨) لخمس بقين من شهر طوبه لسنة إثنين وثمانين وثلثمايه .

٩) وودى هذه الدنانير فى ديوان سيدنا العامل أبى يحيى شنوده .

١٠) بن سربام أدام الله عزه على يدى أبى سهل بقام بن جريج .

١١) فى نجم طوبه وقد أبرأ عمر بن مهدى مينا بن جرجه الططونى .

١٢) فى كل علقه تجيه من ولده محمد شهد على ذلك .

١٣) شهد على بن يوسف مهدى على عمه عمر بن مهدى البايع .

١٤) ومينـــا بن جرحه المشترى بجميع ما فى هذا الكتاب وكتب بخطـــه .

١٥) شهد على ذلك بقام ، بن جريج بما فى هذا الكتاب وكتب بخطه فى تاريخه .

١٦) شهد ريحان بجميع ما فى هذا الكتاب وكتب عنه بأمره ومحضره .

١٧) شهد خلوف بن عبدالله بجميع ما فى هذا الكتاب وكتب عنه بأمره ومحضره .

وثيقـــه عربيـــة (ديـــة مقتل فرس) محفوظة فى معهد البرديات بجامعة هايدليرج بألمانيا مؤرخه ٤٠٤ هـ - عثر عليها فى مدينة الفيوم برقم سجل (٨٠٠٧) - أطوالها ١٨,٩٥ ×٢٩ سم .

النـــص

١) أشهدنى فهد بن عصام وفاتك بن زيد ومينا .
٢) بن جرحه الططونى بما فى هذه الوثيقة وكتب على بن يوسف .
٣) بخطة فى تاريخـــه .
٤) بسم الله الرحمن الرحيم .
٥) شهد الشهود المسمون فى آخر هذا الكتاب منهم من كتب بيده .
٦) ومنهم من كتب عنه على إقرار فهد بن عصام وجواز أمرهم طائعين .
٧) بن زيد الزخرى فى صحة عقولهم وأبدانهم وجواز أمرهم طائعين .
٨) غير مكرهين ولا مجبرين ولا مضطهدين أن الأمر تقرن بينهم وبين مينا .
٩) بن جرجه الططونى من كورة الفيوم فى الفرس التى كانت لولد .
١٠) عمهم مكبر بن زيد الزاخرى التى قتلت بططون تقرن الأمر بينهم .
١١) على ثلثين ديناراً منها خمسة عشر ديناراً فى آخر شهر المحرم من .
١٢) سنة خمس وأربع مائه وخمسة عشر ديناراً فى شهر المحرم من سنة .
١٣) ست وأربع مائة لا يدافعهم مينا بن جرجه الططونى بذلك عند .
١٤) محل الأجل المذكور فيه ولا يحتج عليهم بحجة بوجه من الوجوه ولا .
١٥) سبب من الأسباب ومتاماً إدعا أحد منهم على مينا بن جرجه .
١٦) الططونى بغير ما سمى ووصف فى هذه الوثيقة (قدعواه) .
١٧) وإفك وبهتان والمدعا عليه برىء فى هذه الوثيقة .
١٨) بدعوا أو أحتج عليه بحجة فضمان ذلك وخلاصه على فهد بن عصام .
١٩) وفاتك بن زيد بلا مدافعه ولا إحتجاج بحجة وكتب فى مستهل رمضان .
٢٠) سنة أربع وأربع مائه شهد على ذلك شهد نهار بن يحيى الطليبى
بما فى هذه الوثيقة وكتب عنه على بن يوسف بأمره ومحضره شهد ربيعه بن محمد وعلى بن عمر بما فيه وكتب عنهم على بن يوسف بأمرهم وحضورهم

٢١) شهد القسم بن يحيى بن عبدالعزيز اليامى .

٢٢) شهد على إقرار فهد بن عصام وفاتك بن زيد .

٢٣) على ما سمى ووصف فى هذا الكتاب وكتب بيده .

٢٤) فى تاريخـــه .

٢٥) وهذه الفرس قتلت بططون يوم الغاره شهبر ومحمد على بططون .

٢٦) وهذه الثلثين دينار .

٢٧) ثمناً لهذه الفرس عنها ومهرتها جميع أهل ططون وهو خطا واحداً .